خطبة اللورد لويد

في كلية فكتوريا بالاسكندرية

زار اللورد جورج لويد المندوب السامي البريطاني في مصر مدينة الاسكندرية في اواخر مارس الماضي وحضر حفلة كبيرة في كلية فكتوريا خطب فيها خطبة تهذيبية بليغة استهلها بشكر لجنة الكلية وناظرها ودولة رئيس الوزراء وجميع الحاضرين ثم قال :

تأسست كلية فكتوريا منذ ٢٥ سنة بالاكتتاب العام وكان في مقدمة المكتتبين لها الانكليز المقيمون في الاسكندرية ويعود جانب كبير من الفضل في انشائها على كرم السر جورج الدرمن الذي نأسف لغيبته اليوم . وقد اهتم بها سلفي العظيم لورد كرومر اهتماماً خاصاً وفي قدومي الى هنا اليوم تحية احترام لذكراه وشعمل الذي عمله لبلاده وللبلاد التي كانت بعدها اعلق البلدان بنفسه

لقد اوجد لورد كرومر شركة وطيدة بين بريطانيا ومصر وهذه الشركة معا تغيرت اشكالها لازمة للشريكين وهذا يجعل استمرارها لا مندوحة عنهُ . فعلينا ان نقوي كلَّ ما لدينا من وسائل التفاهم المتبادل بين البريطانيين والمصريين والجاليات الاخرى التي توطنت هذه البلاد ، حتى يجم عن هذه الشركة اعظم المنافع المتبادلة . وقد كان هذا التفاهم المتبادل غاية لورد كرومر من تأسيس كلية فكتوريا بوجه عام ومن تأسيسها في الاسكندرية بوجه خاص وهي غاية اعتقد ان الكلية تحققها

انشئت الاسكندرية لتكون عاصمة العالم المعروف للاسكندر الكبير ، ولتكون حلقة اتصال بين الشرق والغرب . وقد حققت هذه الغاية في عهد ازدهارها الاول وايضاً في نهضتها الحديثة على يد محمد علي باشا العظيم فكانت صلة بين الشرق والغرب . وهذه الصلة التي تمثلها الاسكندرية تمثيلاً واسعاً ، تمثلها كلية فكتوريا على وجه مصغَّر

ما من احد اعرف منك يا حضرة الناظر ان المدرسة او الكلية مكان للتعلم والتعليم وان المعلم يتعلَّمُ بقدر ما يعلِّم ، واذا كنا نحن الانكليز قد اسسنا كلية فكتوريا هنا فاننا لم نفعل ذلك لان لدينا ما نعلمهُ للغير فقط بل لان هناك ما نريد ان نتعلمهُ ايضاً . ومن بواعث الفخار والتشجيع لكل معهد علمي ان ينشأ في مدينة كالاسكندرية حيث نشأت

فروع كثيرة من فروع العلم وحيث ارتقت الفنون والفلسفة ارتقاء خاصاً ، في المدينة التي يحق ان تدعى مدينة الاكتشاف العلمي ومقر اشهر مكاتب العالم

هنا عاش اقليدس اعظم علماء الهندسة الذي بقي كتابهُ في الهندسة مستعملاً في مدارسنا الى اوائل هذا القرن . هنا وضع ديوفنتس علم الجبر وابولونيوس علم القطوع المخروطية . هنا قاس اراتستنيس قطر الارض لاول مرة في التاريخ وقال ارسترخس بدوران الارض والسيارات حول الشمس قبلما قام غليليو بالتي سنة . هنا انشيء علم القوى المائية (هيدروستاتيك) وعلم التشريح في مدرسة الطب العظيمة . هنا استنبط المصّ وغيرهُ من المستنبطات الكثيرة المفيدة . ان الرياضيات والعلوم الطبيعية لم تنهض نهضة تساوي هذه النهضة سوى في القرن التاسع عشر . وقد اخذ الباحثون يكشفون حديثاً ان الامبراطورية الرومانية مدينة بجانب كبير من نظامها الاداري للبطالسة

واذا كان اشتغالُ اليونان بالعلوم ، واندفاعهم وراء البحث عن الحقائق ، الباعثَ الاكبر على الارتقاء العلمي الذي تمّ في الاسكندرية في ذلك العصر ، فان ارتقاء الفنون والفلسفة بنوع خاص سببهُ احتكاك العقول من مختلف الاجناس التي اجتمعت في بقعة بين اوربا واسيا وافريقية يقسل شواطئها بحركةٍ وحيٍّ والهام . والباعث على اجتماع تلك الشعوب فيها هو هو الباعث الذي حملنا — ونحن شعب نختلف عنهم كل الاختلاف — على التعلق بهذه البقعة التي وقفت امامها منارة الاسكندرية رمزاً للنور والطمأنينة

نحن الانكليز لنا في كلية فكتوريا وسيلة نؤدي بها خدمة للخير العام فماذا نستطيع ان نفعل . اسمحوا لي ان اقرأ لكم فقرة لامرسن الكاتب الاميركي الكبير ضمنها رأيهُ فينا ومنها نستطيع ان نستخلص صورة لما نستطيع ان نقدمهُ بواسطة معاهدنا — قال امرسن :

« مما يجعل الشعب الانكليزي شعباً ذا شأن هو صفات الافراد الذين يتألف منهم . انهم رجال احرار اقوياء يعيشون في بلادٍ فيها الحياة بأمن من الطوارئ ولها مقام وقيمة عالية . انهم قوام هذا العصر وليس ذلك اتفاقاً بل هم يفعلون ذلك بمُثُلهم الممتاز وكثرة الافراد المقتدرين بينهم. لقد انكر البعض ان في الانكليز نبوغاً ومعما قيل فيهم فلا ريب ان رجالاً من اكبر الرجال عقولاً ولدوا في بلادهم . وقد استنبطوا اعظم المستنبطات او طبقوها . اجسامهم سليمة وهم ذوو ثبات عظيم في الحرب والعمل وقوانينهم كريمة تمنع الرق وتؤيد الحرية واذا كان عندهم استبداد فذلك ثانوي لا يدوم ونجاحهم ليس قائماً على الحظ بل لقد اظهروا ثباتاً واستقراراً في مقدرتهم قروناً كثيرة »

وأكرر القول بأن الاسكندرية حلقة الاتصال ويجب ان تكون وسيلة للتفاهم واليها تنظر نظراً خاصاً في توطيد رابطة التفاهم . وليس من وسيلة لتوطيد هذه الرابطة افعل من كلية تعلم الشبان من مختلف الاجناس المبادئ البريطانية العليا . فكنا مشتركون في سعي واحد للتفاهم المتبادل . وثمرات النجاح في هذا العمل هي السلام والطمأنينة والارتقاء . لذلك ارحب باجتماعنا في منتدى كلية فكتوريا لانني اشعر ان روح التفاهم يكون في هذا المنتدى اوضح واقوى اثراً منهُ في اي مكان آخر

وما هي كلية فكتوريا . كلية فكتوريا ايها السادة مدرسة انكليزية تفتح ابوابها لكل الاجناس . لم يتسنَّ لهذه المدرسة ان يكون لها كل الشأن المنتظر في تربية النشء المختلط في الاسكندرية وغيرها من مدن هذا القطر لاسباب بعضها مالي والبعض الآخر ناجم عن الحرب الكبرى . وسيُتدارك هذا الامر في السنوات المقبلة . فهذه مدرسة على كثرة الوسائل التهذيبية التي تقوم بها ترى قليلين من آباء النشء الجديد يهتمون بها او يفهمون غايتها . فمن الانصاف ان نشهر مميزاتها . ان معلميها من الانكليز الذين نشأوا على مبادئ الحياة العامة والحياة المدرسية في انكلترا . وما يحصلهُ الطلبة فيها يوازي ما يحصلهُ طلبة كلياتنا في انكلترا وما اكثر علامات الشرف التي حازها خريجو هذه الكلية في بلاد الانكليز . ففي السنوات الماضية — بل في السنة الماضية فقط فاز كثيرون من ابناء هذه الكلية في جامعات انكلترا حيث يجدون الآن نحو ٣٠ طالباً من ابناء هذه الكلية السابقين . وقد بلغني ان مجلس الامتحان لشهادة اكسفرد كمبردج اظهر اعجابهُ الشديد بمعارف تلاميذ فكتوريا — هذا فيما يتعلق بالعلوم

ثم هناك تربية الاخلاق . ان النظام الذي نحياهُ في انكلترا اقوى العوامل في تربية ملكات الشرف والشعور بالمسؤولية والصدق وضبط النفس والثبات وغيرها من الصفات التي لا مندوحة عنها لانشاء الوطني العامل ، اقول ان هذا النظام الكامل يُستعمَل في هذه الكلية كما يُستعمل في انكلترا . وهو يستعمل هنا رغماً عن كثرة الاجناس التي يتألف منها مجموع الطلبة . وهذه الروح تبدي أيضاً في الالعاب على اختلافها ، الفوتبول والكركت وفرق الكشافة

وقد بلغ من نجاح هذا العمل انهُ الحوادث التي حدثت في سنتي ١٩١٩ و١٩٢١ لم تؤثر في علاقات الطلبة بعضهم ببعض فلم يحدث بينهم نفور ما . ومما يدل على استمرار هذه الروح أن ابناء الكلية السابقين لا يزالون يجتمعون اجتماعاتهم الشهرية يؤلف بينهم